المقدمة

تَكْمُن أهمية الدراسة في اختيار الباحث لإحدى أهم القضايا القانونية والسياسية وحتى الفكرية التي تهم الإنسان والتي يجري الحديث عنها في هذا العصر، ألا وهي قضية السِّلم وآثارها على الفرد والجماعة والمؤسسات والمنظمات الدولية والمجتمع الدولي، وانعكاسات تلك على الحضارات البشرية عبر التاريخ.

كما أن هناك أهمية أخرى لدراسة السِّلم وهي أن الفكر الإسلامي يُتَّهم بالعنف والإرهاب، مع وجود مجاميع تجعل من الإسلام ركيزة للإرهاب، مما دفع بعض الدوائر العالمية أن تشن هجمات شرسة غير موضوعية على الإسلام والمسلمين، وبالأخص بعد أحداث سبتمبر عام 2001 م، ومن أجل دحض هذه النظرة، وفق دراسة علمية مُحايدة، تَكْمُن أهمية دراسة مفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي في هذا العصر.

كما وأن هناك أهمية أخرى تنحصر في تلك النداءات المتكررة لِمُفكري الغرب حول حوار وصراع الحضارات، وبالأخص بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، في حين أن معظم المفكرين المسلمين ينادون بحوار الحضارات.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات حول مفهوم السِّلم والحرب في الفكر الإسلامي السياسي، إلَّا أن معظمها كانت قاصرة على الجانب الفكري والسياسي دون التطرق إلى الجانب القانوني، سواء القانون الداخلي (السِّلم الداخلي) أم القانون الدولي العام (الأمن والسِّلم الدوليين).

إن الباحث يهدف في دراسته إلى:

البحث عن النظريات الفكرية الإسلامية لمفهوم السِّلم قديماً وحديثاً، واستنباط النظرية الراجحة على ضوء الواقع الحالي للمسلمين، وما طرأ من مستجدات على ضوء القانون الدولي العام، علاوة على الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف لمفهوم السِّلم في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، وكذلك دراسة أوجه الاختلاف والتشابه لمفهوم السِّلم في القانون العام الداخلي والشريعة الإسلامية، إضافة إلى البحث في المعاهدات

والاتفاقيات الدولية ذات الصلة بالسِّلم والأمن الدوليين، في القانون الدولي العام، من أجل مقارنتها بما كان معمولاً في القانون الدولي الإسلامي، ثم البحث عن كيفية تأصيل مفهوم السِّلم في القانون الدولي الإسلامي، ومواءمتها مع القانون الدولي العام في مجال الاتفاقيات الدولية والتشريعات الداخلية، وعرضها وتحليلها، من أجل الوصول إلى أهم القواعد المشتركة بينهما.

ثم تناول الباحث منهجية الدراسة في ضوء ما يثيره مفهوم السِّلم والحرب في الفكر الإسلامي من إشكاليات منهجية وموضوعية من حيث الحاجة إلى دراسته والكشف عن ملامحه وبيان ماهيته، وتحديد أبعاده القانونية والسياسية الداخلية والدولية، فلكثرة المفاهيم والنظريات حول مفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي، اعتمد البحث على عدة جوانب منها:

أ ـ **المنهج التكاملي**: وذلك بدراسة ووصف مفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي، والكشف عن خفاياه، ومن ثم استنباط النظرية الملائمة لذلك المفهوم وتأصيله في الواقع، استناداً إلى فكرة من الوحي إلى العصر[1]، لكي نرتشف رحيقه ونُنسق معانيه، ونفهمه بلغة اليوم.

(1) محاضرة للأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد ألقيت على طلبة كلية الآداب جامعة بغداد عام 1983م، أشار إلى أن من المفروض دراسة الوحي، ومن ثم استنباط الأحكام الشرعية بما يوائم العصر الحاضر، وعدم تطبيق الاجتهادات الفقهية التي استنبطت من الوحي في فترة من التاريخ الإسلامي في العصر الحالي؛ لأن لكل عصر خصوصية، تكاد لا تتلاءم تلك الخصوصية مع العصر الحالي، أي يجب أن لا نعطي القدسية المطلقة لاجتهاد في عصر معين وتعطيل الاجتهاد. وهذه حسب رأي الدكتور الطامة الكبرى، واستندت فكرته على قول العلامة ابن القيم في «إعلام الموقعين» حيث يقول: لا يمكن أن نأخذ العلم من رجل فقه الإسلام دون فقه عصره، أو كما يقول أستاذنا الدكتور محمد شريف في دراسته الموسومة كيف نجدد الموقف الإسلامي في الفقه والفكر والسياسة، استنهاض عقل الفقيه والقارىء لعله يقرأ كتاب الشريعة الخاصة بأمور العادة، وفقاً لمعطيات العصر، لا وفقاً لمعطيات قرون مضت، لم يعد لها وجود ولا بينها وبين العصر جامع. أو كما يقول الأستاذ الدكتور حسن الترابي في مؤتمر «قضايا المنهجية والعلوم السلوكية»، الذي دعا له المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن: نشأت قطاعات واسعة المصالح والمفاسد وعلاقات التعامل وظروف الوجود الحضري بوجوه جعلت كثيراً من خيارات الفقه الاجتهادي القديم غير مناسبة ولا متكيفة مع الحاضر في ذلك. ينظر: الدكتور حسن الترابي، منهجية التشريع في الإسلام، دار الفكر، خرطوم السودان، 1987م، ص: 7.
وأرى بما يتوافر من شؤون المعرفة، وخير أحوال الإنسان بتعاقب العصور والأحوال زماناً ومكاناً، وما

ب ـ **المنهج التحليلي**: حيث نحلل مفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي والفكر الغربي، ونستنبط من هذا التحليل، أن لهذا المفهوم في كلا الفكرين أهمية بالغة، لدى المفكرين والباحثين الإسلاميين والغربيين، وأن هذا المفهوم في الفكر الإسلامي مقرون بالعقيدة والمبدأ، وتعتبر من الثوابت، أما في الفكر الغربي فإنه وليد المعاناة والحروب والويلات، وبالأخص الحروب الدينية المسيحية، سواء بين المسيحيين أنفسهم (الكاثوليك والبروتستانت)، أم بين المسيحيين والمسلمين في الحروب الصليبية (1096-1296م).

ج ـ **والمنهج المقارن بين النظريات الإسلامية** ومن ثم مقارنتها بقواعد القانون الداخلي والقانون العام الدولي، من أجل الوصول إلى حقيقة أن العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية مبنية على قاعدة الدعوة بالتي هي أحسن، وأن السِّلم والحرب تتحدد معالمه بموجب الموقف المقابل من هذه الدعوة.

د ـ **والمنهج التاريخي**: حيث يقوم باستقراء مفهوم السِّلم في العصور التأريخية المختلفة.

ثم تطرق الباحث في خطة بحثه إلى عرض كافة الأفكار المتعلقة بموضوع بحثه بالشكل الذي يكفل تغطية جوانبه المختلفة، لذا فإن البحث يحتوي على ثلاثة أبواب، وخمسة فصول، واثنا عشر مبحثاً، وتم ترتيبه كالآتي:

الباب التمهيدي: حيث تناول فيه الباحث تطور مفهوم السِّلم في الحضارات والأمم القديمة وفي العصر الوسيط وفي العصر الحديث وفي النظام العالمي الجديد.

تضمن الباب الأول على دراسة مفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي والفكر الغربي، وقَسَّم هذا الباب إلى ثلاثة فصول:

= يلاقيه من التحديات فإننا في موقف يجعلنا نرى أموراً كان يصعب أو يستحيل على من سبق من السلف أن يراها كما نراها اليوم. وأرجو ألا يمنع روح التقليد وخوف المبادرة بعض أهل العلم من إعمال الفكر والاجتهاد على أساس ما يتوفر لهم اليوم من العلم والمعرفة وما تمليه حاجات الناس وأحوالهم في هذا العصر وذلك بسبب كوابح الترغيب والترهيب التي تساهل كثير من علماء الأمة الإسلامية في أمرها وقبولها من أصحاب الغفلة والدس ليرهبوا ضمير الأمة ويرهبوا علماءها وعامتها ويقعدوهم مقعد الخوف والعجز والتقليد والجمود.

ـ **الفصل الأول**: تناول تطور مفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي، وتم تقسيم هذا الفصل: إلى ثلاثة مباحث، حيث **ركز المبحث الأول**: على مفهوم السِّلم في العصور الإسلامية الأولى، والذي شمل مطلبين، **بحث في الأول**: مفهوم السِّلم في العصر النبوي، **وفي الثاني**: مفهوم السِّلم في عصر الخلافة الراشدة.

وخصص **المبحث الثاني** لمفهوم السِّلم في العصور الإسلامية الوسطى، والذي شمل أربعة مطالب، حيث تم التطرق **في الأول**: لمفهوم السِّلم في العصر الأموي، **وفي الثاني**: لمفهوم السِّلم في العصر العباسي، **وفي الثالث**: لمفهوم السِّلم في عهد المماليك، والسلاطين، وفي الأخير لمفهوم السِّلم في الدولة العثمانية.

وتناول **المبحث الثالث**: مفهوم السِّلم في العلاقات الدولية للعالم الإسلامي في العصر الحالي.

وخصص **الفصل الثاني**: لمفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي، وقسم هذا الفصل إلى مبحثين، **وهما**: مفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي، **أما الثاني**: فقد خصص لخطوات الإسلام وما وضع من ضمانات لإقرار السِّلم العالمي.

والفصل الثالث: تم فيه معالجة مفهوم السِّلم في الفكر الغربي، وتم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، تم التطرق في **الأول**: إلى التطور السياسي والقانوني لمفهوم السِّلم في الفكر الغربي، وقسم هذا المبحث بدوره إلى مطلبين، حيث تطرق في **الأول**: إلى التطور السياسي والقانوني لمفهوم السِّلم، في العصور القديمة، وفي العصور الوسطى في أوروبا، **والثاني**: خصص للتطور السياسي والقانوني لمفهوم السلم في العصر الحديث.

أما **المبحث الثاني** فقد خصص لثمار الفكر الغربي، وهي نشأة القانون الدولي العام.

الباب الثاني: تناول فيه الباحث دراسة تطبيقية مقارنة للسِّلم في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية، وقسم هذا الباب إلى فصلين:

الفصل الأول: ويتضمن دراسة قانونية تطبيقية للسِّلم في القانون الدولي العام والقانون العام الداخلي والشريعة الإسلامية، جرى تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، خصص الأول لمبدأ السِّلم في القانون الدولي العام، وقسم إلى ثلاثة مطالب: **الأول**: مبدأ السِّلم في عهد عصبة الأمم، **وأما الثاني**: لمبدأ السِّلم في ميثاق الأمم المتحدة، **وخصص**

الثالث: للمبادىء الدولية المعاصرة للسلم، أما المبحث الثاني، فقد تم التطرق إلى مبدإ السلم في القانون العام الداخلي، وقسم إلى مطلبين، **الأول**: لمبدإ السلم في القانون الإداري، **والثاني**: لمبدإ السلم في القانون الجنائي الوضعي. أما **المبحث الثالث**: فتم التطرق إلى مبدإ السِّلم في الشريعة الإسلامية.

أما الفصل الثاني: فتم تناول أوجه التشابه والاختلاف لمفهوم السِّلم في الفكرين الإسلامي والغربي، وقسم إلى مبحثين، حيث أشير في الأول إلى أوجه التشابه لمفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي والفكر الغربي، وقسم هذا المبحث بدوره إلى مطلبين، **الأول**: خصص لأوجه التشابه لمفهوم السِّلم في القانون الدولي العام والقانون الدولي الإسلامي، أما **الثاني**: فلأوجه التشابه لمفهوم السِّلم في القانون الداخلي الوطني والشريعة الإسلامية، وشمل أوجه التشابه لمفهوم السِّلم في القانون الإداري الوضعي والقانون الإداري الإسلامي، ولأوجه التشابه لمفهوم السِّلم في القانون الجنائي الوضعي والقانون الجنائي الإسلامي.

أما المبحث الثاني: فخصص لأوجه الاختلاف لمفهوم السِّلم في الفكر الإسلامي والفكر الغربي، وقسم إلى مطلبين، تم التطرق في **المطلب الأول**: لأوجه الاختلاف لمفهوم السِّلم في القانون الدولي العام والقانون الدولي الإسلامي، أما **المطلب الثاني**: فلأوجه الاختلاف لمفهوم السِّلم في القانون العام الداخلي والشريعة الإسلامية، وشمل أوجه الاختلاف لمفهوم السِّلم في القانون الإداري الوضعي والقانون الإداري الإسلامي، وأوجه الاختلاف لمفهوم السِّلم في القانون الجنائي الوضعي والقانون الجنائي الإسلامي.

وقد تم إنهاء البحث بخاتمة، ذكرت فيها الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث، ثم المقترحات والتوصيات.